

الحلقة الثانية

سلسلة رمز وحقيقة

برنامج أنوار كاشفة

الوعد بمجيء المخلص

بدأنا في اللقاء الماضي بالإجابة عن السؤال : لماذا نقرأ كمسيحيين كتب العهد القديم ؟ فأوضحنا أن هذه الأسفار تدون لنا تاريخ علاقة الله مع الإنسان ، وتكشف عن مجيء المخلص المسيح . وذكرنا أنه لهذا يجب علينا أن نقرأ أسفار العهد القديم لكي نتعرف على الله الخالق ، وندرس الإعلانات والرموز والنبؤات التي أشارت إلى المخلص المسيح ، وزمن المسيحية ، أي عصر ملكوت الله .

ثم عدنا إلى أول سفر في العهد القديم وهو سفر التكوين . وتحدثنا عن خلق الله للإنسان على صورته وشبهه ، وكيف عصى آدم وحواء وصية الله ، فدخلت الخطية حياتهما ، وأصبحا في حالة عدا مع الله . وكانت النتيجة أن عاقب الله حواء على عصيانها بأن أكثر أوجاع الحبل والولادة . ولعن الله الأرض بسبب عصيان آدم ، وقال لآدم أنه بعرق وجهك تأكل خبزك ، لأنك تراب وإلى تراب تعود . وهكذا حكم الله على الإنسان بالموت الروحي ، أي بالانفصال عن حضرته تعالى . وأيضا بالموت الجسدي أي بانفصال الجسد عن الروح وطرد الله الإنسان عندها من جنة عدن التي كان يقيم فيها .

وختمنا اللقاء الماضي بطرح السؤال : ماذا كان موقف الله تجاه الإنسان الذي عصى أمره وضل الطريق ؟ هل تركه يعاني وشأنه من هذه النتائج المدمرة ؟ أم حاول أن يفعل شيئا لانقاذه ؟ للإجابة عن هذه التساؤلات نقول : أجل لقد بادر الله الخالق لإنقاذ الإنسان ، ولم تأت مبادرته متأخرة ، بل كانت بعد سقوط آدم وحواء في العصيان مباشرة . وقد أتت المبادرة على شكل وعد بالإنقاذ .

لاحظنا في اللقاء الماضي أن آدم إتهم حواء أنها السبب في عصيانه . وأن حواء بدورها إتهمت الحية التي أغرتها فأكلت من ثمر الشجرة . وهنا نقرأ ما دونه الوحي في سفر التكوين : " فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ، ومن جميع وحوش البرية . على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك . وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها . هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه." (تكوين ٣: ١٤ و ١٥)

ترمز الحية في الكتاب المقدس إلى إبليس أو الشيطان . وهذا ما نجده واضحا في سفر الرؤيا ، آخر أسفار الكتاب المقدس ، إذ نقرأ فيه تعبير " التنين العظيم أو الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان ." (رؤيا ١٢: ٩)

إن إبليس الذي تكلم من خلال الحية ، هو الذي أغوى حواء ، وكان السبب في سقوطها مع آدم في العصيان . وهو بالتالي المسبب لدخول الخطيئة مع كل نتائجها المدمرة لجنسنا البشري . ولنلاحظ هنا أنه نتيجة لعصيان آدم وحواء ، ورث الجنس البشري عنهما طبيعة الخطيئة ، طبيعة الفساد . وهكذا صار البشر جميعا عبيدا للخطيئة ، واستحق بالتالي جميع البشر بدون إستثناء الموت والهلاك . إن إبليس إذن هو العدو الرئيسي لنا نحن البشر ، وهو المسبب الأول للفساد والكوارث التي تملأ حياتنا من كل جوانبها . فهل نقدر نحن البشر أن نتحدى إبليس ونقهره ؟

لقد قال الله إن العداوة ستبقى مستمرة بين الحية ، أي إبليس الشيطان ، والمرأة ونسلها . لكنه عاد وأكد أن نسل المرأة سيسحق رأس الحية ، أي رأس إبليس الشيطان . لنقرأ مرة أخرى كلمات الوحي المقدس : " وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها . هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه . " سيأتي إذن من نسل المرأة من يسحق رأس الحية أي رأس الشيطان . فمن هو المقصود بنسل المرأة هذا الذي سيأتي ويسحق رأس الحية أي رأس إبليس ؟

من الواضح أن الإنسان الأول الممثل بآدم قد هُزم أمام إبليس الشيطان . ولهذا نجد أن الله يعد بإنسان آخر ثان يأتي من نسل المرأة . وأن هذا الإنسان الثاني لابد أن ينتصر على إبليس الشيطان ، وينقذ الإنسان من نتائج العصيان ، ويحرره من عبودية الخطيئة . ويعيده في نفس الوقت إلى علاقة المودة والشركة الروحية مع الله خالقه .

فمن هو هذا الإنسان الثاني يا ترى ؟ لو عدنا إلى العهد القديم من الكتاب المقدس لوجدنا نبؤات عديدة تشير إلى هذا الإنسان الثاني ، الذي سيأتي من نسل المرأة ويحرر الإنسان . سنكتفي بنبؤة واحدة منها في حلقتنا هذه فقد تنبأ النبي أشعيا بلسان الوحي قائلا : " ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ، ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل . " (إشعيا ٧:١٤)

لقد تمت هذه النبؤة حرفيا بولادة الطفل يسوع المسيح قبل ألفي سنة من مريم العذراء ، أي من نسل المرأة ، إذ حبل به فيها من الروح القدس (روح الله) ، وليس من زرع بشري .

وأكد لنا الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل ، في رسالته الأولى إلى كورنثوس ، أن المسيح هو الإنسان الثاني الذي أتى من السماء ، بينما كان الإنسان الأول آدم من الأرض ، وقد أتى من التراب . لكن هل سحق الإنسان الثاني يسوع المسيح الذي أتى من نسل المرأة رأس الحية الشيطان ؟ وكيف ؟ بالإجابة عن هذه التساؤلات تتضح لنا حقيقة عمل الإنقاذ الذي قام به الله نحو جنسنا البشري .

لا نستطيع أن ندرك فحوى عمل الإنقاذ بمعزل عن حقيقة كوننا نحن البشر ، أناسا عصاة وخطاة أمام الله . ولهذا نحن بحاجة إلى من يكفر عن خطايانا ، ويحررنا في نفس الوقت من عبودية الخطية وإبليس الشيطان . إن الله القدوس العادل لا بد له أن يعاقب كل من يفعل الخطية . ولهذا كانت خطة الله لإنقاذ الإنسان تقضي ، أن يكفر الإنسان الثاني المخلص المسيح عن معاصي وذنوب البشر . أي أن يكون البديل الذي ينوب عنا ، فيأخذ قصاص الله الذي كان يجب أن يقع علينا نحن البشر الخطاة ، وهكذا يكفر عن خطايانا . وفي عملية التكفير هذه يهزم إبليس الشيطان .

أليس هذا ما فعله المخلص المسيح يا أعزائي ؟ فبموته الكفاري على الصليب دفع المسيح ثمن عقاب البشر جميعا . وبقيامته المجيدة من بين الأموات سحق المسيح رأس الشيطان ، وانتصر على الموت عدو الإنسان اللدود . وبعمله الكفاري هذا ، وانتصاره على الشيطان ، فتح المسيح الباب واسعا لكي يتحرر الإنسان الخاطئ من عبودية الخطية، وينال الغفران والحياة الأبدية .

ولنلاحظ يا أعزائي أن المسيح يكون بذلك ، قد أبطل أهم نتائج العصيان ، وهو الموت بشقيه الجسدي والروحي . فلم يعد الموت بالنسبة لكل من يؤمن بالمخلص المسيح ، سوى جسر عبور لدار النعيم الأبدية . وفي نفس الوقت أنهى المسيح حالة الانفصال والبعد عن الله ، أي الموت الروحي . إذ أعاد العلاقة الروحية ما بين الإنسان والله خالقه . ولهذا كتب أيضا الرسول بولس قائلًا : **" بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل . "** (الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ١: ١٠) نعم لقد أبطل المخلص المسيح الموت ، وفتح أمامنا أبواب الخلود .

لقد حقق المخلص المسيح إذن وعد الله بالإنقاذ ، فهو الذي أتى من نسل المرأة وسحق رأس الحية أي رأس الشيطان . وذلك عن طريق موته الكفاري على الصليب ، وقيامته المجيدة من بين الأموات . ولهذا دعا المخلص المسيح تلاميذه لكي يذهبوا إلى العالم أجمع ويكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها . أي يكرزوا بهذه البشارة السارة ، الأخبار المفرحة ، أنه صار بإمكان الإنسان أن ينال الغفران والحياة الأبدية .

فما هو موقفك صديقي ؟ وما هو موقفك صديقتي ؟ هل تقبلا عمل الله الإنقاذي هذا من أجلكما بواسطة المخلص المسيح ؟ لم لا تؤمنا بهذا المخلص العجيب فتحصلا على عطية الله العظمى .